مجلة جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية - العدد الأول - يناير 2008م

الدُّعَاءُ الْمَشْرُوعُ

آدَابُهُ، وَآثَارُهُ، وَعَلاقَتُهُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

دراسة وصفيَّة تحليليَّة

إعداد

د/ خالد حسين عبد الرحيم حمدان

ملخص:

الدعاء من أشرف العبادات و أجلّ الطاعات لا يستغني عنه العبد في حال من الأحوال، وهو صلة بين العبد وربه، وكلما كثر رجاؤه بالله وحسن ظنه به كثر دعاؤه، وأعرف الخلق بربِّهم أكثرهم دعاءً له. وهو دليل على كمال افتقار العبد لربه واستغنائه به، وقد كان النبي ﷺ يواظب على الدعاء، وكذلك حرص السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم على الدعاء في سائر شؤونهم، والعجيب في الأمر أنَّ كثيراً من الناس لا يدعون الله إلا في الشدائد والأزمات، وهذا مسلك خطأ، والمشروع للمؤمن أن يدعو الله في السراء والضراء، وإذا كان دائم الاتصال بالله أجيبت دعوته في الشدائد، ففى الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ"[1]

والله ﷻ قادر على تحقيق حاجة العبد من غير مسألة، ولكن يحب أن يرى من عبده الخضوع والتذلل والافتقار إليه سبحانه والاعتماد عليه وهذا هو ثمرة العبادة والغاية التي من أجلها خلق الله ﷻ الخلق.

ABSTRACT:

The relation between legal supplication and It's fatalism

Sipplication is the best worshiping and agood obedience for the sarvent of Allah in all cases, the bileivers people supplicate Allah too much.

Prophet Mohammed (p.p.u.h) and his followers supplicate Allah in all time and in all conditions, but some people supplicate Allah only if they faced problem, but It's illegal, the legal to supplicate Allah in agood or bad conditions.

Prophet M. said : If you knew Allah in case of luxurious, Allah knew you in poverty. So moslime must be surrender for Allah to reply about supplication.

مقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا العلي القدير ويرضى. أحمدك اللهم لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، وأصلي وأسلم على حبيبك محمد ﷺ صلاة وتسليماً تفك بهما العقد، وتفرَّج بهما الكرب، وتقضى بهما الحوائج، وتنال بهما الرغائب وحسن الخواتيم.

اللهم إنا نستدعي من رضاك المنحة، كما نستدفع بك المحنة، ونسألك العصمة كما نستوهب منك الرحمة، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ويسر لنا العمل كما علمتنا وأوزعنا شكر ما آتيتنا، انهج لنا سبيلاً يهدي إليك، افتح بيننا وبينك باباً، نفد منه عليك، لك مقاليد السموات والأرض وأنت على كل شيء قدير، أما بعد:

فإن شأنَ الدعاء عظيم، ونفْعَهُ عميم، ومكانتَه عاليةٌ في الدين، فما استُجْلِبت النعمُ بمثله ولا استُدْفِعت النِّقَمُ بمثله، ذلك أنه يتضمَّن توحيد الله ﷻ، وإفراده بالعبادة دون سواه، وهذا رأس الأمر، وأصل الدين، وهو عبادة يمارسها الإنسان في جميع حالاته، لأنه يترجم عمق الصلة بينه وبين بارئه، ويعكس حالة الافتقار المتأصلة في ذات الإنسان إلى الله سبحانه، والإحساس العميق بالحاجة إليه والرغبة فيما عنده، فهو مفتاح الحاجات ووسيلة الرغبات، وهو الباب الذي فتحه الله تعالى لعباده كي يلجوا إلى ذخائر رحمته وخزائن مغفرته، وهو الشفاء من الداء، والسلاح في مواجهة الأعداء، وهو من أقوى الأسباب التي يستدفع بها البلاء ويُردُّ بها القضاء، لذلك فإنّنا نجد الدعاء من أبرز القيم الرفيعة عند الأنبياء والصالحين، ومن أهمّ السنن المأثورة عنهم، ولقد اهتمّ الرسول ﷺ وصحابته الميامين ﷺ عنهم بالدعاء اهتماماً خاصاً، وحفلت كتب الدعاء الكثيرة المروية عنهم بتراث فذّ، الأمر الذي يُعدُّ صفحة مشرقة من صفحات تراثنا الإسلامي، فهو من حيث الفصاحة والبلاغة آية من آيات الأدب الرفيع، ومن حيث المضمون وسيلة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وتلقين أصول العقيدة وتهذيب النفوس وصفائها وتنمية نزعاتها الخيِّرة لتصل إلى درجات الطاعة والفضيلة .

وهذا البحث هو إحدى ثمرات ذلك الأدب الرفيع، فهو دراسة متواضعة تعكس للقارئ الكريم وبأسلوب بسيط أهم ما يتعلق بموضوع الدعاء وفقاً لما جاء في الكتاب الكريم والسُنّة المطهّرة.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً:المقدمة، وقد اشتملت على: أهميَّة البحث، وسبب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة.

1- أهمِّيَّة البحث:

ما من عاقل في هذه الدنيا إلا ويعلم أن الإنسان موضع الابتلاء والامتحان والاختبار والحوادث والمصائب والويلات والظلم والعدوان، وفجائع الدنيا لا تنفك عن أحد سواء في أول حياته أو آخرها، والكثير من هذه الأمور ضرر على الإنسان، ودفع الضرر أو جلب المصلحة الملزمة واجب بحكم النقل والعقل، وليس من طريق أبلغ من الدعاء في دفع ذلك الضرر، أو جلب تلك المصلحة، فالدعاء من أهمِّ الطرق التي تصل الإنسان بربه ﷻ، وإذا كان السير المادِّي يقرب الطريق لاسيَّما إذا جدَّ الإنسان فيه، فإن الدعاء بمثابة السير المعنوي إلى مكان معنوي، والآيات الكثيرة والأحاديث الواردة في هذا الشأن خير شاهد على ما نقول لاسيَّما أن الله ﷻ وعد من دعاه بالاستجابة.

2- سبب اختيار الموضوع:

لعل السبب الأبرز الذي كان وراء الكتابة في هذا الموضوع هو زعم البعض أن لا حاجة للدعاء في ظل الاعتقاد بالقضاء والقدر، وكان من جملة ما قاله البعض حيال هذا الموضوع: إنّ المطلوب بالدعاء إن كان مقدَّراً عند الله تعالى، كان واجب الوقوع، فلا حاجة إلى الدعاء، وإن كان غير مقدر عند الله تعالى، كان ممتنع الوقوع، فلا حاجة أيضاً إلى الدعاء، ومع وضوح الإجابة عن مثل هذه الشبه من خلال كتاب الله الكريم وسُنّة النبيِّ ﷺ المطهرة، إلاّ أن البعض ظنَّ بصحتها، فتركوا الدعاء، لظنهم – وبعض الظن إثم - بأن للإنسان مصيراً واحداً لا يمكن تغييره ولا تبديله، وأنه ينال ما قُدّر له من الخير أو الشرّ، لذلك جاء هذا البحث ليساهم ولو بشكل يسير في تصحيح هكذا معتقد فاسد، وذلك

من خلال بيان أن الدعاء أمرٌ ليس خارجاً عن نطاق القضاء والقدر بل هو وإجابته جــزء لا يتجزأ من القضاء والقدر، وأن المقدَّر معلّق بأسباب، ومن أسبابه الدعاء، ومتــى أتــى العبد بالسبب وقع المقدَّر، وإذا لم يأت بالسبب انتفى المقدَّر، فإذا قدّر وقــوع المــدعو بــه بالدعاء لا يجوز أن يقال: لا فائدة في الدعاء.

3- **منهج البحث**: سلك الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي[2]، حيــث إنَّــه أنــسب المناهج في مثل هذه البحوث.

4- **الدراسات السابقة**:

أكثر من أن تحصى في هذا المقام تلك الكتب التي صنِّفت فــي الــدعاء، بيــد أنَّ النادر منها تناول الموضوع الرئيس الذي تناوله هذا البحث، ألا وهو بيان أن لا منافاة بين الدعاء من جهة وبين القضاء والقدر من جهة أخرى، وفيما يلي سرداً لــبعض الدراســات التي صنِّفت في الدعاء.

1- أهمية الدعاء وكيفيته في السنة النبوية/ محمد بن إبراهيم الحمد.

2- الأدعية المأثورة عن رسول الله/ عفيفي محمد الصادق.

3- الترغيب في الدعاء/ عبد الغني المقدسي.

4- الدعاء والتوبة/ إسماعيل غريب الكيلان.

5- القول المعطاء في أحكام الدعاء/ محمد الشيخ الباليسان.

6- حياة القلوب بدعاء علام الغيوب/ محمد عبد الظاهر الفقي.

7- الدعاء بالأسماء الحسنى/ د.محمود عبد الرازق الرضواني.

8- الأزهية في أحكام الأدعية/ محمد الأشعري.

9- الدعاء و أحكامه الفقهية / خلود المهيزع (رسالة ماجستير).

10- كتاب الدعاء/ للمخاملي، دراسة و تحقيق، محمد التركي (رسالة ماجستير).

ثانياً: التمهيد.

ثالثاً: المباحث:

جاء هذا البحث في أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: الدعاء: مفهومه وأنواعه

المبحث الثاني: آداب الدعاء

المبحث الثالث: آثار الدعاء

المبحث الرابع: علاقة الدعاء بالقضاء والقدر

أرجو الله تعالى أن ينفع به المؤمنين، وأسأله سبحانه العون والسداد، وأستلهمه التوفيق والرشاد .

رابعاً: الخاتمة:

وقد اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

تمهيد:

ليس بعد تلاوة كتاب الله ﷻ عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إليه سبحانه وتعالى، ولكن كثيراً من المسلمين تركوا سلاحهم هذا، سلاح الدعاء، تركوه وراءهم ظهرياً، والبعض لا يرفع يديه البتة، وبعضهم يرفع يديه وهو موقن أنه لن يسمع، ولن يؤبه بدعائه، وإذا كان الخلاف في الدعاء وهل يرد القضاء؟ أو يغير في قوانين الله ونواميسه شيئاً، فإنه مما لا خلاف فيه أنه التجاء الضعيف إلى القوي، ورجاء الفقير من الغني، وتضرع من لا يملك من الأمر شيئاً إلى من بيده ملكوت السموات والأرض ثم إنَّ امتثال أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ بالدعاء، والمسارعة إلى ما يحبه الله سبحانه، ومما يحبه من عباده وهو الدعاء والضراعة إليه والضراعة بين يديه، أفضل من الجدال العقيم، في فائدة الدعاء، وجدوى الرجاء، عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"[3]

المبحث الأول
الدعاء: مفهومه وأنواعه

المطلب الأول: مفهوم الدعاء:

أولاً: الدعاء في اللغة:

الدعاء: هو أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك، تقول: دعــوت فلانـــاً أدعــوه دعاءً، أي ناديته وطلبت إقباله، وأصله دُعاوٌ، إلاّ أنّ الواو لمّا جاءت بعد الألف هُمِــزت[4]، أو هو طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة[5] يقــال: دعــوتُ الله أدعوهُ دعاءً : ابتهلتُ إليه بالسؤال، ورغبتُ فيما عنده من الخير.[6]، وللدعاء في كتــاب الله الكريم معانٍ عدّة، كلُّها تدور حول المعنى اللغوي المتقدم، نذكر منها:

1- الاستعانة، والاستغاثة:

قال تعالى: ﴿...وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[7] فــي هــذا المعنـــى قولان: "أحدهما أن معناه استعينوا، من المعونة قاله السدي والفراء، والثاني: استغيثوا: من الاستغاثة وأنشدوا:

فلما التقت فرساننا ورجالهم		دعوا يال كعب واعتزينا لعامر."[8]

بيد أنّ الدعاء أعم من كل من الاستعانة والاستغاثة لأنه يكون من المكــروب وغيــره أما الاستعانة والاستغاثة فلا تكونان إلا من المكروب، فكل اســتغاثة دعــاء ولــيس كــل دعاء استغاثة.[9]

2- الذكر:

المراد بالذكر: الأوراد والأذكار الموظفة المقررة في كلِّ يوم وليلة، المــشتملة علـــى تجديد العقائد وطلب المقاصد والأرزاق ودفع كيد الأعداء ونحو ذلك، وينبغـــي للمــرء أن يجتهد في حضور القلب والتوجه والتضرع عند قراءتها، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِـــي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ"،[10] وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِـــيَّ ﷺ

قَالَ: خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[11]

3- السؤال:

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ"[12] أي سَلْ لنا رَبّك﴾[13]

4- الطلب:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.[14]

أي: "وإن تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها، وتطلب ذلك من لم تجد من يحمل عنها شيئا منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ"[15]

5- العبادة:

وهي الأدعية المشتملة على صنوف الكلام في التوبة والاستغاثة والاعتذار، وإظهار الحب والتذلل والانكسار، قال تعالى : ﴿... لن ندعُو من دُونه إلهـاً...﴾[16]، أي نعبد،[17]، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..." قَالَ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين﴾[18]" [19]

قوله الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ: أتى بضمير الفصل والخبر المعرَّف باللام، ليدل على الحصر في أن العبادة ليست غير الدعاء مبالغة، ومعناه أن الدعاء معظم العبادة كما قال ﷺ : "الحج عرفة"، أي معظم أركان الحج الوقوف بعرفة أو المعنى أن الدعاء هو العبادة سواء استجيب أو لم يستجب لأنه إظهار العبد العجز والاحتياج من نفسه والاعتراف بأن الله تعالى قادر على إجابته، ... ثم قرأ: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " قيل: استدل بالآية على أن الدعاء عبادة؛ لأنه مأمور به والمأمور به عبادة، وقال القاضي: استشهد بالآية لدلالتها على أن المقصود يترتب عليه ترتب الجزاء على الشرط والمسبب على السبب ويكون أتم العبادات ويقرب من هذا قوله مخ العبادة أي خالصها "...إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي..." أي من دعائي"سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" أي صاغرين ذليلين، وقال الطيبي: "معنى حديث النعمان أن تحمل العبادة على المعنى اللغوي إذ الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له وما شرعت العبادات إلا للخضوع

للباري ﷻ وإظهار الافتقار إليه ولهذا ختم الآية بقولـــه: ﴿...إِنَّ الَّـــذِينَ يَـــسْتَكْبِرُونَ عَـــنْ عِبَادَتِي...﴾ حيث عبر عن عدم التذلل والخضوع بالاستكبار ووضـــع عبـــادتي موضـــع دعائي وجعل جزاء ذلك الاستكبار الصغار والهوان"[20]

وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـــافِرُونَ﴾[21]، أي ادعـــوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها ولا تلتفتوا إلى كراهة الكفار ودعـــوهم يموتـــوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم[22]

وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[23]، أي تعبدونهم أو تدعونهم من دونه سبحانه وتعالى للاستعانة بهم لا يستطيعون نصركم فـــي أمر من الأمور[24]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّـــا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً[25]﴾، أي: أعتزل ما تعبدون من دون الله وأعبد ربي، عـــسى أن لا أشـــقى بدعائه وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام[26]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[27] "أي لا أحد أضـــل منه ولا أجهل فإنه دعا من لا يسمع فكيف يطمع في الإجابة فضلا عن جلب نفع أو دفـــع ضر؟ فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين وأضل الضالين والاستفهام للترقيع والتوبيخ"[28]

6- القول:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّـــا ظَـــالِمِينَ﴾[29]، قال أهل اللغة: "الدعوى هاهنا بمعنى الدعاء والقول، والمعنى ما كان قـــولهم وتـــداعيهم إذ جاءهم العذاب إلا الاعتراف بالظلم، قال ابن الانباري: وللدعوى فـــي الكـــلام موضـــعان: أحدهما الإدعاء، والثاني القول والدعاء"[30]

7- النداء:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَـــمُ الـــرَّاحِمِينَ﴾[31] أي دعا ربه أني أصابني الجهد[32] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَـــا نُـــوحٌ فَلَـــنِعْمَ الْمُجِيبُـــونَ﴾[33] والمراد أن نوحاً ﷺ دعا ربه ﷻ على قومه لما عصوه فأجـــاب الله ﷻ دعـــاءه وأهلـــك قومه بالطوفان فالنداء هنا هو نداء الدعاء لله والاستغاثة به.[34]

8- النسبة:

قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ...﴾[35]، أي انسبوهم لآبائهم[36].

ثانياً: الدعاء في الاصطلاح :

هو استدعاء العبد ربه ﷻ العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقة إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا إليه، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على اللـه ﷻ، وإضافة الجود، والكرم إليه، ودعاء العبد ربه جلَّ جلاله: طلب العناية منه، واستمداده إياه المعونة[37]،

المطلب الثاني: أنواع الدعاء:

الدعاء لله ﷻ نوعان[38]:

أولاً: دعاء العبادة: وهو توحيد الله ﷻ والثناءُ عليه، كقولك يا اللهُ لا إله إلا أَنت، وكقولك ربَّنا لكَ الحمدُ، إذا قُلْتَه فقدَ دعَوْته بقولك: ربَّنا، ثم أَتيتَ بالثناء والتوحيد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[39] فهذا ضَرْبٌ من الدعاء.

ثانياً: دعاء المسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، ولهذا أنكر الله تعالى على من يدعو أحداً من دونه ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَالاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[40]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[41]

ودعاء المسألة هو الآخر نوعان:

الأول: مسأَلة الله العفوَ والرحمة وما يُقَرِّب منه كقولك اللهم اغفر لنا.

الثاني: مسأَلة الحَظِّ من الدنيا، كقولك: اللهم ارزقني مالاً وولداً، وإنما سمي هذا جميعه دعاءٌ؛ لأَن الإنسان يُصَدِّر في هذه الأَشياء بقوله يا الله يا ربّ يا رحمنُ.[42]

ثالثاً: علاقة الدعائين أحدهما بالآخر:

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ... لأن السائل أخلص سؤاله لله وذلك من أفضل العبادات وكذلك الذاكر لله والتالي لكتابه ونحوه طالب من الله في المعنى فيكون داعياً عابداً"[43]

قال الله تعالى : ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[44]

وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة فإن الداعي يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل، وضابط هذا : أن كلَّ أمرٍ شرعه الله ﷻ لعباده وأمرهم به ففعلوه لله فهو عبادة، فإذا صرفوا من تلك العبادة شيئاً لغير الله ﷻ فهو شرك مصادم لما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾[45]، عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿أَفْضَلُ الذكر لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[46]، ومن الذكر دعاء ذِي النُّونِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إلا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ"[47]

المبحث الثاني

آداب الدعاء

إنّ الدعاء هو الإقبال إلى الله تعالى والانقطاع إليه ليتحقق القرب من منازل الرحمة الإلهية لذا فقد حدّدت نصوص الكتاب الكريم كما السنَّة المطهرة آداباً للدعاء، ينبغي للداعي أن يراعيها كي يتقرّب إلى ربِّه ﷻ فينهل من خزائن رحمته وذخائر لطفه ، ويتحقّق مطلوبه من الدعاء، أمَّا إذا أهملها فلا تتحقّق له الاستجابة المرجوة من الدعاء ولا تحصل له نورانية القلب وتهذيب النفس وسمو الروح المطلوبة في الدعاء .

وفيما يلي أهم هذه الآداب:

المطلب الأول: الآداب المتقدّمة على الدعاء:

أولاً: الصلاة:

يستحب أن يصلي الداعي ركعتين قبل أن يشرع بالدعاء، وأن يفتتح دعاءه بالبسملة، ويثني بذكر اللّه ﷻ والثّناء عليه بما هو أهله، وبالصّلاة على رسول اللّه ﷺ، لما ورد عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ قال: "سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "عَجِلَ هَذَا ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ"[48]، فالثناء على الله ﷻ اعتراف له بالوحدانية، وتحقيق للانقطاع التامّ إلى الله تعالى دون سواه، فينبغي للداعي إذا أراد أن يسأل ربّه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة أن يحمد الله ويثني عليه ويشكر ألطافه ونعمه قبل أن يشرع في الدعاء، ففي حديث الشفاعة عن أنس ﷺ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ... فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ..."[49] يفعل ذلك أربع مرات.

أقول: هذا إن دلَّ فإنما يدل على أهميَّة الثناء على الله ﷻ، بما هو أهله، وفيه من الأدب الجمِّ ما فيه، فلو أنَّ لإنسان عند أخر مصلحةً، فإنَّه لا يطلبها منه إلا بعد أن يقدم بين يدي طلبه عبارات من المدح والثناء، فإذا كان هذا هو اللائق بين الإنسان ومن هو

مثله، فإنَّ الله ﷻ به أولى وله سبحانه المثل الأعلى، ومن أعظم الثناء على الله ﷻ الدعاء بالأسماء الحسنى، لقوله تعالى:"وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا..."[50] أما الصلاة على النبي ﷺ فإنَّها تؤكد الولاء له ﷺ والالتزام بما جاء به من عند ربِّه ﷻ، لذا فهي من أهم الوسائل في استجابة الدعاء.

ثانياً: أن يترصّد لدعائه الأوقات، والأحوال، والأماكن الشّريفة:

لابدّ للداعي أن يراعي اختيار الأوقات التي هي مظنّة الإجابة، فمن تأمل نصوص الكتاب الكريم والسنَّة المطهَّره يلاحظ أنّ الأوقات ليست كلّها سواء، فمنها ما تفتح فيها أبواب السماء ولا يحجب فيها الدعاء ومنها ما تستنزل فيها الرحمة أكثر من غيرها، وفيما يلي بعضاً من أهم الأوقات والأحوال، والأماكن التي ترجى فيها الإجابة.

أولاً: الأوقات التي ترجى فيها الإجابة:

1- يوم عرفة، ويوم الجمعة:

يوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله ﷻ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ"[51] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: "فِيهِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ..."[52]، وعَنْ أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ، ... وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، ..."[53]

2- رمضان:

لا سيَّما وأنَّ فيه ليلة القدر، وهي أكثر الليالي أهمية في استجابة الدعاء، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[54]، فعلى المؤمن أن يتحرى هذه الليلة ويحييها بالصلاة والدعاء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[55]

3- جوف الليل ووقت السّحر:

جعل الله تعالى لساعات النصف الثاني من الليل من البركة والرحمة ما لم يجعله في

الساعات الأخرى من الليل والنهار ، ففي هذا الوقت يستولي النوم على غالب الناس، فيتمكن أولياء الله تعالى من الإقبال عليه بالدعاء والذكر والانقطاع إليه بعيداً عن زحمة الحياة ومشاغلها، فهذا الوقت إذن هو وقت صفاء القلوب وإخلاصها وفراغها من المشوشات وهو وقت الخلوة وفراغ القلب للعبادة والدعاء، وهو يشتمل على مجاهدة النفس ومهاجرة الرقاد ومباعدة وثير المهاد والانقطاع إلى الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿وَبِالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[56] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"[57]، قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَبِالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: هم المؤمنون، وبلغنا أن نبي الله ﷺ يعقوب حين سألوه أن يستغفر لهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[58]، ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[59]، قال بعض أهل العلم: إنه أخر الاستغفار إلى السحر، وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء، قال ابن زيد: السحر هو السدس الأخير من الليل[60]

4- بعد الصلوات المكتوبة:

عند إقامة الصّلوات تستجاب الدعوات، قال مجاهد: "إنّ الصّلاة جعلت في خير السّاعات فعليكم بالدّعاء خلف الصّلوات"[61]، عَنْ سَلْمَانَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا أَوْ قَالَ خَائِبَتَيْنِ"[62]

ثانياً: الأحوال التي ترجى فيها الإجابة:

من أهم آداب الدعاء أن يكون الداعي مجتنباً للتلبس بالحرام أكلاً وشرباً ولبساً وتغذيةً فلهذا ينبغي له أن يتحرى ويجتهد إذا أراد أن يكون مجاب الدعوة، فللحلال سر عجيب في قبول الأعمال عند الله تعالى والحرام له منع وسد وشؤم على متناوله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[63]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[64]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ"[65]

ثالثاً: الأماكن التي ترجى فيها الإجابة:

إنّ لله تعالى بقاعاً أحبّ أن يُعبد فيها وندب إلى أداء الأعمال الصالحة فيها، ومن هنا اكتسبت أهميةً وفضلاً على سواها، ومن ذلك الفضل استجابة الدعاء في أروقتها، ومن بين هذه البقاع:

1- مكة المكرمة :

وهي البقعة التي اختارها الله تعالى من بين بقاع الأرض لتكون محلاً لبيته المحرَّم، ومكاناً لعبادته، ونيل رحمته، وفيها الكعبة المشرَّفة، قبلة المسلمين، وملجأ الهاربين، بها يأمن الخائف، وفيها تنزل الرحمة، وعندها يستجاب الدعاء .

وترجى إجابة الدعاء في عدة مواضع خلال مناسك الحج، منها: عند الميزاب، وعند المقام، وعند الحجر الأسود، وبين المقام والباب، وفي جوف الكعبة، وعند بئر زمزم، وعلى الصفا والمروة، وعند الجمرات الثلاث، وفي المزدلفة، وفي عرفة، وعند المشعر الحرام، عن حبيب بن صهبان قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يطوف بالبيت وهو يقول بين الباب والركن أو بين المقام والباب: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"[66]

2- المساجد :

المساجد عموماً بيوت الله في الأرض، فمن أتاها عارفاً بحقها، فإنّ الله تعالى أكرم من أن يخيب زائره وقاصده، قال قتادة : "هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها وقد ذكر لنا أن كعبا كان يقول: مكتوب في التوراة ألا إن بيوتي في الأرض المساجد وإنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر"[67] وأشرف المساجد المسجد الحرام بمكة المكرمة يليه مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة ثم المسجد الأقصى في فلسطين الجريحة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"[68]، وعن أبي الدرداء، ﷺ : عن النبي ﷺ قال: "فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة و في مسجدي ألف صلاة و في مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة"[69]

المطلب الثاني: الآداب المصاحبة للدعاء:

من الآداب المصاحبة للدعاء ما يلي:

أولاً: أن يدعو وهو مستقبل القبلة:

عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي، قَالَ: فَحَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ يَدْعُو ثُمَّ حَوَّلَ رِدَاءَهُ ثُمَّ صَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ"[70]

ثانياً: إظهار التّضرّع والخشوع والرّغبة والرّهبة:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[71]وقال ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[72].

وقد ذمّ الله تعالى الذين لا يتضرعون إليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[73]، وروي أنّه ﷺ كان يتضرّع عند الدعاء حتى يكاد يسقط رداؤه، فعن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[74]، ﴿فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلائِكَةِ...﴾[75]

والتضرُّع من أهم أسباب استجابة الدعاء، ليس إلا لأنَّه يعكس حالة الافتقار إلى الله تعالى التي يتساوى فيها جميع البشر، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا

عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ..."[76]

ثالثاً: الاضطرار إلى الله سبحانه وحسن الظنّ به:

لابدّ للداعي أن يتوجه إلى الله تعالى توجّه المضطر الذي لا يرجو غيره، وأن يرجع في كلِّ حوائجه إلى ربه، ولا ينزلها بغيره من الأسباب التي لا تملك ضراً ولا نفعاً، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾[77]، فإذا لجأ الداعي إلى ربه بقلب سليم وكان دعاؤه حقيقياً صادقاً جاداً، تحقق الانقطاع الصادق بالاضطرار الحقيقي إلى الله تعالى الذي هو شرط في قبول الدعاء قال تعالى:" أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ"[78]

رابعاً: التلبث بالدعاء وعدم القنوط:

ما ينبغي للداعي أن يستعجل في دعوته فيستحسر ويسأم ويترك الدعاء، بل اللائق به أن يلازم الطلب ولا ييأس ولا يستعجل، ولا يسأم الرغبة، فإنه يستجاب له، أو يُكَفَّرُ عنه من سيئاته، أو يدخر له، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له، ولا يمل الله ﷻ من العطاء حتى يمل العبد من الدعاء ومن عجل وتبرم فنفسه ظلم[79]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يُسْتَجَابُ لأحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي"[80]

خامساً: الدعاء بالمأثور:

الدعاء بالمأثور يجنّب الإنسان الوقوع في الخطأ، فهو أولى من غيره، وأفصح ممّا يؤلفه الإنسان، ويفضل اختيار الأدعية التي هي مظنة الإجابة، أو التي خُصّت بالفضل الكبير في قضاء الحاجات وغفران الذنوب وهي كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، كتلك الأدعية التي تشتمل على اسم الله الأعظم لما فيها من الكرامة والقربى واستجابة الدعاء، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: "ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا" قالوا:

يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات ؟ قـال: "أجـل ينبغـي لمـن سـمعهن أن يتعلمهن"[81] ولا يفوتنا هنا أن نحذر من مسألة الاعتداء في الدعاء، فعَنْ أَبِي نَعَامَةَ عَنْ ابْـنٍ لِسَعْدٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا وَكَـذَا وَكَـذَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَسَلاسِلِهَا وَأَغْلالِهَا وَكَذَا وَكَذَا فَقَالَ يَا بُنَيَّ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: "سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَـا وَمَا فِيهَا مِنْ الْخَيْرِ وَإِنْ أُعِذْتَ مِنْ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنْ الشَّرِّ"[82]

وعلى الداعي أن يختار من الأدعية المأثورة ما يناسب حاله وحاجتـه، فـبعض الأدعية تناسب حالة الخوف، وبعضها حالة الرجاء، وبعضها للبلاء، وبعضها للرخاء، إلى غير ذلك من الأحوال المختلفة التي ترد على الإنسان، فعليه أن يقرأ في كلِّ حالة ما يناسبها مـن الأدعية المأثورة مترسّلاً وكأنّها من إنشائه، ويدعو بلسان الذلّة والخشوع لا بلسان التشدّق والاستعلاء مع التدبّر في معانيها والتضرُّع فيها .

المبحث الثالث

آثار الدعاء

الدّعاء عبادة، له آثاره البالغة وفوائده العظيمة، لذلك أمرنا الحقّ جلَّ في علاه بالدّعاء، ورغبنا فيه النّبيّ ﷺ، فكم من محنة رفعها الله ﷻ بالدّعاء، وكم من مصيبة أو كارثة كشفها اللّه ﷻ بالدّعاء، وقد أورد القرآن الكريم جملةً من الأدعية التي استجابها اللّه تعالى بمنّه وفضله وكرمه، والدّعاء سبب أكيد لغفران المعاصي والذنوب، ولرفع الدّرجات، ولجلب الخير ودفع الشّرّ، ومن ترك الدّعاء فقد سدّ على نفسه أبواباً كثيرةً من الخير، هذا وقد ذكر شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله عشرة أسباب لغفران الذنوب، حيث قال رحمه الله:" والسبب الرابع الدافع للعقاب دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته"[83]

عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ"[84]، ثمّ إنَّ من أبرز فوائد الدّعاء أنّه يستدعي حضور القلب مع اللّه وهو منتهى العبادات، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "إن الدعاء هو العبادة"[85] ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[86]، وفيما يلي نبين بعض الآثار المترتبة على الدعاء في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: الآثار العاجلة:

أولاً: يستدعي حضور القلب مع الله:

هذا الأثر للدعاء هو بلا شك أهمّ الآثار التي سنتعرض لها، ذلك أنه يستدعي حضور القلب مع الله ﷻ، ونعني به أن يفرِّغ الدَّاعي قلبه عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما، ولا يكون الفكر جائلاً في غيرهما، ومهما انصرف في الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب[87]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ"[88]

ثانياً: الدعاء يهذب النفس:

الدعاء من أهم العوامل التي تسهم في بناء الإنسان المؤمن ، لما فيه من العبودية المطلقة للواحد الأحد، والتي تكسب الداعي النقاء والصفاء وخشوع القلب ورقته، وتصنع منه ذاتاً متواضعة لله تعالى، محبة للخير، ومصدراً للمعروف، وتبعاً لفيض البركات، فيصل بتلك النفس إلى درجات المتقين، والدعاء سلَّم المذنبين الذي يعرجون به إلى آفاق التوبة، حيث يخلون بربهم، ويبوءون بذنوبهم، وينزلونها عنده، ليخفف من غلواء نفوسهم المكبلة بالذنوب، فهو السبب الذي يوصلهم إلى درجات الطاعة والفضيلة ، لينالوا درجة الإنسانية الكريمة، ويهذّبوا نفوسهم، ويفلحوا بسعادة الدارين .

ثالثاً: الدعاء تلقين لأصول العقيدة:

إذا تأملنا الأدعية المأثورة نجد أنّها تمثّل مدرسة لتعليم العقيدة الإسلامية والانفتاح على جميع مفرداتها، حيث يستحضر الداعي في وعيه توحيد الخالق وصفاته ومشيئته وإرادته وعلمه وقضاءه وقدره ، ويتحدث عنها بطريقة إيحائية تحرك الأصل الأول من أصول العقيدة في الروح، وتعمّق إحساسها بخالقها جلَّ وعلا في حالةٍ من التقاء الفكر والشعور، تحقق وضوح الرؤية وحصول اليقين، حينما يجد المؤمن ربه قريباً فيناجيه، ومحيطاً به فيدعوه، ويجد نفسه محتاجاً فيعطيه، قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان، أحدها: الوجود فإن ليس بموجود لا يدعى، الثاني: الغنى فإن الفقير لا يدعى، الثالث: السمع فإن الأصم لا يدعى، الرابع: الكرم فإن البخيل لا يدعى، الخامس: الرحمة فإن القاسي لا يدعى السادس: القدرة فإن العاجز لا يدعى[89].

كانت تلك بعضاً من آثار الدعاء في الدنيا، أما عن آثاره في الآخرة، فبه ينال الداعي ما عند الله تعالى من الرحمة والمغفرة والنجاة من العذاب في الآخرة، وذلك من أبرز آثار الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه؛ لأَنّ عطاء الآخرة دائم مقيم لا نفاد له.

رابعاً: الدعاء سلاح المؤمن:

الدعاء سلاح المؤمن، وهو أظهر مظاهر العبادة، به يستنزل العبد أسباب النصر، ويستمد أسباب القوة، وبه يرتبط العبد بخالقه، وهو سبب لرفع كثير من البلاء، فعن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لأبيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي

اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثلاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثلاثًا حِينَ تُمْسِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثلاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلاثًا حِينَ تُمْسِي فَتَدْعُو بِهِنَّ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ"[90]، وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ أَللَّهُ أَللَّهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[91]

المطلب الثاني: الآثار الآجلة:

أولاً: الدعاء مفتاح الحاجات:

الدعاء باب مفتوح للعبد إلى ربّه سبحانه، يلتمس من خلاله كل ما يحتاجه في دنياه من صحة الأبدان وسعة الأرزاق والخلاص من البلاء والنصر على الأعداء، وهذا الذي كان يقوم به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فقد كان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام معروفاً بالدعاء والمناجاة، قال ابن مسعود رضي الله عنه في قول تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[92] أنّه كان يكثر من الدعاء[93]، وممّا جاء في كتاب الله الكريم من دعاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[94]، وقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[95]

وقوله تعالى: ﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ *وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[96].

ولما اشتدّ الفزع بأصحاب طالوت لكثرة العدد والعدة في صفّ جالوت وجنوده، دعوا الله متضرعين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ

وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ ممَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[97]، وفي بدر حيث التقى الجمعان، دعا رسول الله ﷺ ربّه واستنصره متضرعاً إليه حتى سقط رداؤه فأنجز له الله تعالى ما وعده، وأمدّه بألف من الملائكة مردفين، ولاحت بشائر الانتصار[98]، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[99]، وفي كتاب الله الكريم والسُنّة المطهّرة أمثلة كثيرة لآثار الدعاء في ردّ كيد الأعداء والانتصار عليهم.

ثانياً: الدعاء شفاء من كلِّ داء:

الدعاء شفاء من كلِّ داء، ومن أوكد الأسباب في إزالة الأمراض المستعصية لاسيَّما الأمراض النفسية الشائعة في زماننا هذا ، وقد أكدت البحوث الطبية أنّ الطب الروحي من أهم الأسباب في تخفيف مثل هذه الأمراض وإزالتها ، والدعاء يقف على رأس مفردات الطب الروحي والعلاج النفسي، باعتباره وصفةً طبيَّةً روحيَّةً مقرونةً بالرحمة والشفاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[100]، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَادَ مَرِيضًا قَالَ اللَّهُمَّ أَذْهِبْ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ فَأَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا"[101] وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي وَعَافِنِي فِي بَصَرِي وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[102]

ثالثاً: الدعاء ادخار وذخيرة:

من آثار الدعاء إذا واظب عليه العبد في حال الرخاء أنّه يكون له ذخيرة لاستخراج الحوائج في البلاء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ"[103]، وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:..."احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ..."[104]

المبحث الرابع

علاقة الدعاء بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول العقيدة الإسلاميَّة، لذلك لمَّا سُئل رسول الله ﷺ عَنْ الإيمَانِ قَالَ: "..أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ..."[105]، والنصوص المخبرة عن القدر كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[106] وعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ[107]... "[108]، وقال ابن عمر أيضا لما أخبر عن قول مَعْبَد الْجُهَنِيِّ (أَنْ لا قَدَرَ وَأَنَّ الأمْرَ أُنُفٌ) قَالَ: "فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ"[109]

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر:

أولاً: تعريف القضاء:

1- **القضاء في اللغة:** الحكم، يقال: قضى، يقضي، قضاءً، فهو قاضٍ إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق.[110]

2- **القضاء في الاصطلاح:** هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها الحادث، كإرادته تعالى الأزلية بخلق الإنسان في الأرض، أو: هو الخلق الراجع إلى التكوين كخلق الله تعالى الإنسان على ما هو عليه طبق الإرادة الأزلية.[111]

ثانياً: تعريف القدر:

1- **القدر في اللغة:** القضاء والحكم[112].

2- **القدر في الاصطلاح:** هو إيجاد الله تعالى الأشياء على مقاديرها المحددة بالقضاء في ذواتها وصفاتها، وأفعالها وأحوالها وأزمنتها وأمكنتها، وأسبابها، كإيجاد الله تعالى الإنسان فعلاً على وجه الأرض طبق ما سبق في قضائه، أو: هو جعل الشيء بالإرادة على مقدار محدد قبل وجوده، ثم يكون وجوده في الواقع بالقضاء على وفق التقدير[113].

ثالثاً:الفرق بين القضاء والقدر:

ذكر بعض أهل العلم في التفريق بين القضاء والقدر، أن القدر: هو تقدير الـشيء قبل قضائه، والقضاء هو الفراغ من الشيء، ومن الشواهد التي ذكرت للتفريق بين القضاء والقدر، أن القدر بمنزلة تقدير الخيَّاط للثوب، فهو قبل أن يفصِّله يقدِّره، فيزيـد ويـنقص، فإذا فصَّله فقد قضاه وفرغ منه، وعلى هذا يكون القدر سابقاً للقضاء[114] ، وقيل: القـضاء: "هو وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ، والقدر هو وجودها متفرقة في الأعيـان بعد حصول شرائطها"[115]، قال ابن الأثير: "القضاء والقـدر أمـران متلازمـان لا ينفـك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلـة البنـاء وهـو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه"[116].، والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الـذكر دخـل أحدهما في معنى الآخر، فالقضاء والقَدَر أمران مُتَلازِمان لا يَنْفَك أحدُهما عن الآخَـر لأن أحدَهُما بمَنْزِلة الأساس وهو القَدَر والآخَرَ بمنزلة البِناء وهو القَـضاء فمـن رام الفـصل بينهما فقد رام هَدْم البِناء ونَقْضَه[117]

وعلى هذا يكون معنى القضاء والقدر:- هو إرادة الله تعالى إيجاد الأشـياء علـى وجـه مخصوص ثم إيجادها فعلاً على وفق المراد [118].

رابعاً: الأدلة على إثبات القضاء والقدر:

1- الأدلَّة من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[119] وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[120]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[121]

وكان مما قاله الإمام الطبري –رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَـدَرًا مَقْدُورًا﴾، "إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتمه في علمه أن يخلق خلقا، ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثواباً لأهل طاعته وعقابا لأهل معصيته فلما ائتمر ذلـك الأمـر قدره فلما قدره كتب وغاب عليه فسماه الغيب، وخلق الخلق على ذلـك الكتـاب أرزاقهـم وآجالهم وأعمالهم وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبـه أنـه يصيبهم وقرأ: ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُم﴾[122]"[123]

2- الأدلَّة من السنة:

دلت السنَّة كما الكتاب على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل عليه السلام وسؤاله النبي ﷺ عن أركان الإيمان؟ فذكر منها: « ...وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْــرِهِ وَشَــرِّهِ... »[124]

وروى مسلم بسنده المتصل عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّــهِ ﷺ يَقُولُ: كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْــفَ سَــنَةٍ ... "[125]، قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيــره، لا أصــل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له.[126]

المطلب الثاني: هل ينافي الدعاء القضاء والقدر؟!

هناك شبهات كثيرة حول منافاة الدعاء، للقضاء والقدر، وقد تسرّب هذا الاعتقــاد في جملة ما تسرب من معتقدات اليهود إلى التراث الإسلامي العريق الذي ينبذ بوضــوحه وإشراقه كل وافدٍ غريب لا يمتُ إلى الدين القويم وشرعة الإسلام الحنيف بــصلة، وكــان من جملة الإثارات حول هذا الموضوع، أن قال بعض الجهال: إنَّ الــدعاء شــيء عــديم الفائدة، واحتجوا عليه من وجوه عدَّة، أهمّها الوجه التالي:

إن المطلوب بالدعاء إن كان معلوم الوقوع عند الله تعالى كان واجب الوقــوع، فلا حاجة إلى الدعاء، وإن كان غير معلوم الوقوع كان ممتنع الوقوع، فلا حاجة أيــضاً إلى الدعاء.

واستدلُّوا لما ذهبوا إليه بما يلي:

أولاً: ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَــلَّمَ يَقُــولُ: "قَــدَّرَ اللَّــهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"[127].

ثانياً: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا غُلامُ أَوْ يَا غُلَــيِّمُ أَلا أُعَلِّمُــكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ فَقُلْتُ: بَلَى فَقَالَ: "احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَــرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ قَدْ جَــفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَــمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْــهِ وَاعْلَــمْ أَنَّ

فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"[128].

ومع وضوح الإجابة عن مثل هذه الشبهات من خلال محكمات الكتاب الكريم والسُنّة المطهّرة على ما سيأتي بيانه، إلاّ أن البعض ظنَّ بصحتها، فتركوا الدعاء، لاعتقادهم بأن للإنسان مصيراً واحداً لا يمكن تغييره ولا تبديله، وأنه ينال ما قُدّر له من الخير أو الشرّ، **وفيما يلي الرد على شبهة "أنَّ الدعاء شيء عديم الفائدة"**.

أولاً: الدعاء وإجابته من أجزاء القضاء والقدر:

لا شكّ أن شبهتهم تلك ناشئة عن فرط جهلهم بظنهم أن الدعاء أمرٌ خارج عن نطاق القضاء والقدر، وبعيد عن الحكمة الإلهية، والواقع أن الدعاء وإجابته من أجزاء القضاء والقدر، وأن المقدَّر معلّق بأسباب، ومن أسبابه الدعاء، ومتى أتى العبد بالسبب وقع المقدَّر، وإذا لم يأت بالسبب انتفى المقدَّر، ويعتبر الدعاء من أقوى الأسباب، وليس شيء من الأسباب أنفع منه ولا أبلغ في حصول المطلوب، لما ورد في فضله من آيات الكتاب الكريم وصحيح الأثر، فإذا قدّر الله تعالى وقوع المدعو به بالدعاء لا يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[129]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[130]

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات"[131]، وهذا الذي عليه الجمهور، وهو أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب أو غيره، كسائر الأسباب المقدرة والمشروعة، فإذا أراد الله بعبد خيرًا ألهمه دعاءه والاستعانة به، وجعل استعانته ودعاءه سبباً للخير الذي قضاه له كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: "إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه"[132] كما أن الله تعالى إذا أراد أن يشبع عبداً أو يرويه، الهمه أن يأكل أو يشرب، وإذا أراد أن يتوب على عبد، ألهمه أن يتوب فيتوب عليه، وإذا أراد أن يرحمه ويدخله الجنة، يسره لعمل أهل الجنة، والمشيئة الإلهية اقتضت وجود هذه الخيرات بأسبابها المقدرة لها[133].

وقد أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[134] وإجابة الله لدعاء العبد مسلماً كان أو كافراً وإعطاؤه سؤله هي من جنس رزقه له ونصره له وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً، ثم قد يكون عدم دعائه فتنة في حقه ومضرة عليه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ"[135] وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

الرب يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب[136]

ثانياً: مظاهر علم الله تعالى:

إنّ لعلم الله تعالى مظاهر أخبر عنها سبحانه في كتابه الكريم، هذه المظاهر هي:

1- أم الكتاب:

وقد أخبر فيه سبحانه عن علمه الأزلي المحيط بكلِّ شيء، الذي لا يتطرق إليه التغيير أوالتبديل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[137]، وفي أمِّ الكتاب التقدير القطعي الذي يشتمل على جميع السنن الثابتة الحاكمة على الكون والإنسان، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[138]، وقوله تعالى: ﴿...فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[139]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً...﴾[140]

وفي صحيح مسلم بسنده المتصل قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ..."[141]، وقد أورد الإمام ابن القيم رحمه الله ﷻ - في شفاء العليل[142] - طائفة من الأحاديث بهذا الخصوص منها ما رواه حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَيُكْتَبَانِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى فَيُكْتَبَانِ وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ ثُمَّ

تُطْوَى الصُّحُفُ فَلا يُزَادُ فِيهَا وَلا يُنْقَصُ"[143]، قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "وضرب لهم آجالاً"[144]، وحتى يزول من أذهان البعض ما يبدو أنَّه تعارض – ولا تعارض في الحقيقة – بين حديث أم حبيبة رضي الله عنها – السابق – وما رواه أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[145] أقول وبالله التوفيق: إن ما رواه أنس ﷺ لايدلُّ البتَّة على تغيير ما في اللَّوح المحفوظ، بل يفهم منه أن الله تعالى قدَّر السلامة من الشرور، والبركة في العمر، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع ..، كل ذلك لمن وصل رحمه[146]، والمعنى: أنَّ اللهَ ﷻ دفع عن العبد شرًّا، وبارك له في عمره؛ وذلك مقدَّرٌ بسببٍ يفعله وهو الدّعاء، وهو مقدَّرٌ، وكذلك قدَّر أن يطولَ عُمرَه وقدَّر أن يحصلَ منه سببٌ لذلك، وهو البِرُّ وصلة الرَّحم، فالأسبابُ والمسبَّباتُ كلُّها بقضاء الله وقدره، وعليه هذا فلا يفهم أن من المفترض أن يكون عمر إنسان ما ستين سنة مثلاً، فلما وصل رحمه زاد عمره[147]، يؤيد هذا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى:"... وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ"[148] يقول: :ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي كتب له"[149]، ومما ينبغي بيانه أنَّه ليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى، أن لا يحمل السلاح، قال تعالى"... وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ..."[150] كما أنه ليس من شرطه، أن لا تسقى الأرض بعد بث البذر، ثمَّ يقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول، الذي هو كلمح البصر، أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات، على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر، والذي قدر الخير قدره بسبب ،والذي قدر الشر قدر لرفعه سبباً، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته[151] .

من هنا ينبغي العلم أن الدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، يؤيد هذا ما رواه سَلْمَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا البر "[152] ومن الدعاء ما يكون مشروعاً نافعاً في بعض الأشياء دون بعض، لذا كان الإمام أحمد -

رحمه الله - يكره أن يدعى له بطول العمر ويقول: "هذا أمر قد فرغ منه"[153]، بعـد هـذا وذاك، فإنَّه لا مانع من أن يحمل طول العمر الوارد في بعض الأحاديث على هدوء البـال مثلاً، فهو نعمة كبرى، وعلى رغد العيش مثال ثان، وهو نعمة كبرى هو الآخر، فإن هـذا الصنف من الناس يستمتع بعمره المقدّر له ولو كان قصيراً أكثر بكثير من إنسان مغمـوم البال، ولو كان عمره المقدَّر له طويلاً، والله تعالى جلَّ في علاه أعلى وأعلم.

2- لوح المحو والإثبات:

وهو مظهر لله تعالى فيه المشيئة، يقدّم ما يشاء ويؤخر ما يشاء حسب ما تقتضيه حـال العباد من حسن الأفعال أو قبحها التي تؤدي بالإنسان إلى السعادة أو إلى الشقاء[154]، قـال تعالى :"يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ"[155]، وظاهر قول الله تعالى العموم فـي كل شيء مما في الكتاب، فيمحو الله ﷻ ما يشاء محوه من شـقاوة أو سـعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ويبدل هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا[156] "لا يُسْأَلُ عَمَّـا يَفْعَـلُ وَهُـمْ يُسْأَلُونَ"[157]، وإلى هذا ذهب جمع من الصحابة ﷺ[158]، وفي لوح المحو والإثبات يكتـب التقدير الأول، ولكنه يُعلّق بتحقق شرطه أو زوال مانعه، أي إنّه موقـوف علـى أعمـال العباد، فالدعاء والذكر والصدقة وصلة الأرحام وبر الوالدين واصطناع المعروف ، تحوّل شقاء الإنسان إلى سعادة، وتقيه مصارع الهوان وتدفع عنه ميتة الـسوء وتزكـي أعمالـه وتنمي أمواله، وما إلى ذلك من الآثار الكثيرة الحسنة الواردة في كتاب الله الكـريم وسـنَّة النبيِّ ﷺ، وعلى العكس من ذلك فان اقتراف الذنوب، وارتكاب السيئات، كقطيعة الـرحم، وعقوق الوالدين، وسوء الخلق، وغيرها، تحوّل مصير الإنسان من السعادة إلى الـشقاء ، قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾[159]، مـن هنـا فـإنَّ المدعو به قد يكون معلقاً على الدعاء، فكان للدعاء أعظم الفائدة، ما ينبغـي بموجبهـا أن يجتنب، وأيضاً يبدل الله الداعيَ بدل ما دعا به مما لم يُقَدَّر له ما هو أفضل مما قـدَّر لـه، مما يليق بجوده وكرمه وسعة فضله، ومن ثَمَّ أطلق تبارك وتعالى الاستجابة للـدعاء ولـم يقيدها بشيء فقال عزَّ من قائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾[160]، وقال جلَّ شأنه: ﴿...وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾[161] والتغيير الـذي في لوح المحو والإثبات لا يمسّ بكامل علم الله تعالى ، فليس هو انتقال من عزيمـة إلـى

عزيمة ، وليس هو حصول للعلم بعد الجهل، تعالى الله ﷻ عن ذلك علواً كبيراً، وليس هو معارضاً للتقدير الأول، بل إنّ الله تعالى عالم بما يؤول إليه مصير الإنسان في لوح المحو والإثبات، أمَّا الظهور بعد الخفاء فهو بالنسبة لنا، لا إلى علمه تعالى المحيط بكلِّ شيء، فعن عكرمة ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[162] قال: "الكتاب كتابان: كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب"[163].

مما تقدم تبين أن الإنسان لم يكن محكوماً بمصير واحد مقدور غير قابل للتغير والتبديل ، بل إنّه يستطيع أن يغير مصيره لكي ينال سعادة الدارين بحسن أفعاله وصلاح أعماله، ومنها الدعاء والتضرع وقد صحّ عن عبد الله بن عباس ﷺأنّه قال: "لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر"[164]، وهذا مما يبعث الرجاء في القلوب المظلمة كي تشرق بنور الإيمان، ويوقد النور في أفئدة المذنبين فلا ييأسوا من روح الله، ويسعوا للخلاص بالدعاء والتضرع والذكر وسائر أعمال البر، فإنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، وكل يوم هو في شأن، ويداه مبسوطتان بالرحمة والمغفرة[165].

خاتمة البحث

1- إن الدعاء من أهم الأسباب التي تزيد في الإيمان والتوحيد، حيث يجعل القلب متعلقاً بالله تعالى، ويفتح له باباً عظيماً من لذيذ المناجاة وحلاوة الإيمان وبشاشته، وبرد اليقين، وراحة البال، وطمأنينة النفس، وانشراح الصدر، وغير ذلك.

2- إن الدعاء يتضمن الاعتقاد بربوبية الله تعالى، وقدرته، وجوده، وكرمه، وعلمه، وسمعه، وعلوه على خلقه ، وغير ذلك من الصفات العليا.

3- إنَّه يجتمع فيه من أنواع العبادات ما لا يجتمع في غيره، وأن الدعاء سبب شرعي من جملة الأسباب التي جعلها الله ﷻ سبباً لنيل المرغوب ، ودفع المرهوب، وهو من جملة القضاء و مندرج تحته فليس خارجاً عنه.

4- بيان خطأ من اعتقد (بموجب الشبهات) أنَّ القدر يمنع من استجابة الدعاء وتحقق مقتضاه.

المصادر والمراجع

1 - الجامع الصحيح سنن الترمذي/ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، كتاب في الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، 5/ 462 ، حديث رقم: 3382، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، قال الشيخ الألباني : حسن سند الحديث

2- المنهج الوصفي التحليلي هو: - "هو وصف منظم للحقائق، ولميزان مجموعة معينة أو ميدان من ميادين المعرفة المهمَّة بطريقة موضوعيَّة وصحيحة" دليل البحث والتقويم التربوي/ أحمد الخطيب وآخرون، ص 62،ط.1985م.

3- الجامع الصحيح، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في فضل التوبة والاستغفار، وما ذكر من رحمة الله ﷻ، 5/ 548، حديث رقم 3463. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

4 - انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، مادة دعا، 6 : 2337، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية – بيروت 1399هـ- 1979م.

- تاج العروس من جواهر القاموس/ محمد مرتضى الزبيدي، مادة دعا، فصل الدال من باب الواو والياء، 10، 137، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادَّة دعا، 257/14، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى

5- معجم لغة الفقهاء/ وضع أ.د محمَّد رواس قلعة جي، د. حامد صادق قنيبي، ص: 209، دار النفائس.

6- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ أحمد بن محمَّد بن علي المقري الفيّومي 1 / 194، دار الفكر.

7 - البقرة: من الآية23

8 - زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، 50/1 المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ.

9 - انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم/ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، 174/2، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1406هـ.

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص 174- 176، دار إحياء الكتب العربية.

10 - الموطأ / الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي 1 / 214، حديث رقم 500، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر.

11 - الجامع الصحيح، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب في دعاء يوم عرفة، 572/5، حديث رقم 3585، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. قال الشيخ الألباني: حسن

12- البقرة : من الآية 68.
13- لسان العرب، 14 /257.
14- فاطر: من الآية 18
15- جامع البيان في تفسير القرآن/ محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، 8/ 84، دار الفكر –بيروت، 1398هـ-1978م.
16- الكهف: من الآية 14.
17 - معالم التنزيل في التفسير والتأويل/ الحسين بن مسعود الفراء البغوي 3/ 324، دار الفكر.
18- غافر: 60
19 - الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة البقرة 5 / 211، حديث رقم 2969، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
20 - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا،9 / 220، دار الكتب العلمية –بيروت.
21- غافر:14
22 -انظر: فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ محمد بن علي الشوكاني 4/ 690 .
23- الأعراف:197
24 - انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ محمود الألوسي أبو الفضل، 146/9، دار إحياء التراث العربي –بيروت
25- مريم:48
26 - انظر: معالم التنزيل،235/1
27 - الأحقاف:5
28 - فتح القدير، 20/5
29- الأعراف: 5
30- زاد المسير في علم التفسير، 3/ 168.
31- الأنبياء:83
32- انظر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن 722/1.
33- الصافات:75
34- انظر: فتح القدير 4 / 569.
35- الأحزاب: من الآية 5
36- انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، 115/19 دار الفكر، بيروت.
37 - التفسير الكبير/الإمام الفخر الرازي 5 : 97، الطبعة الثانية، دار الكتب العلميَّة- بيروت.

38 - انظر: فتاوى مهمة لعموم الأمة/ عبد العزيز بن باز، محمد بن صالح العثيمين،1/ 97، تحقيق: إبراهيم الفارس، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى ، 1413هـ

39 - غافر:60

40 - المائدة : 76

41 - يونس : 106

42 - انظر لسان العرب 257/14.

43 - فتح المجيد 1 / 159

44 - الأعراف55، 56

45 - الزمر:14

46 - الجامع الصحيح، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، 5 / 462 حديث رقم 3383. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

47 - المصدر السابق، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، 5/ 529 حديث رقم 3505. قال أبو عيسى: وَقَدْ رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ هَذَا الْحَدِيثَ، قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد.

48 - المصدر السابق ، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ 517/5، حديث رقم: 3477. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

49 - صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، 180/1، حديث رقم 326 كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

50 - الأعراف: من الآية180

51 - سبق تخريجه في الهامش رقم"9".

52 - صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، 1/ 316، حديث رقم 893، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987

53 - سنن ابن ماجه/ محمد بن يزيد القزويني، كتاب إقامة الصلاة والسنَّة فيها، باب فضل الجمعة 1/ 344، حديث رقم 1084، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، في الزوائد إسناده حسن، وبه قال الشيخ الألباني.

54 - القدر:3.

55 - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان،1 / 21، حديث رقم 35.

56 - الذاريات:18

57 - المصدر السابق، كتاب الجمعة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل 384/1، حديث رقم 1094.

58 - يوسف:97

59 - يوسف:98

60 - انظر: جامع البيان 11 /455
61 - إحياء علوم الدين/ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، 1 / 304، دار المعرفة – بيروت.
62 - سنن ابن ماجه، كناب الدعاء، باب رفع اليدين، 2/ 1271، حديث رقم 3865، قال الشيخ الألباني:صحيح.
63- المؤمنون:51
64- البقرة:172
65- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب...، 2/ 703، حديث رقم 1015.
66 - سنن البيهقي الكبرى/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، 5/ 84، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414 – 1994.
67- تفسير القرآن العظيم 3/ 390
68 - صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، 1/ 398 حديث رقم 1116، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987 دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة "3"
69 - شعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي3 / 484، حديث رقم: 4140، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ، 1410، : دار الكتب العلمية – بيروت.
70 - صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب كيف حول النبي ﷺ ظهره إلى الناس، 1/ 347، حديث رقم 979.
71- الأنبياء:90.
72- الأعراف:55.
73- المؤمنون:76.
74- الأنفال:9.
75- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، 3/ 1383، حديث رقم 1763
76- المصدر السابق، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، 4/ 1994، حديث رقم 2577.
77- الإسراء:56.
78- النمل:62.
79 - انظر: الاستذكار/ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، 2 / 526، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1421هـ - 2000م.
80- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، 2335/5، حديث رقم 5981.
81- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان/ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي،3 / 253، حديث رقم: 972، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ، 1414 هـ- 1993م، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، قال: إسناده صحيح
82- سنن أبي داود/سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، كتاب الصلاة، باب الدعاء، 66/1، حديث رقم: 1480، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، مع الكتاب : تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها قال الشيخ الألباني : حسن

83- مجموع الفتاوى/ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني 12/ 403 ، اعتنى بها وخرج أحاديثها، عامر الجزار – أنور الباز، مكتبة العبيكات – الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م.

84- صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه، 2 / 654 حديث رقم: 58،

85 - الأدب المفرد/ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، 1/ 249، حديث رقم 714 تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1409 - 1989.

86- غافر: من الآية60.

87 - انظر: إحياء علوم الدين 1/ 161.

88 - الجامع الصحيح، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الدعوات عن النبي ﷺ 517/5، حديث رقم 3479،قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، قال الشيخ الألباني: حسن سند الحديث

89- انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص 458، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة ، 1391هـ

90 - سنن أبي داوود/ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح 2 /745، حديث رقم 5090، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر. قال الشيخ الألباني: حسن الإسناد.

91 - المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، 1 /477، حديث رقم 1525. قال الشيخ الألباني: صحيح.

92- التوبة: من الآية114

93 - انظر:الجامع لأحكام القرآن/ محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله 8/ 249

94- الأنبياء:83، 84

95- الأنبياء:89، 90

96- الأنبياء:76، 77

97- البقرة:250، 251

98 - انظر: البداية والنهاية/ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، 275/3، مكتبة المعارف– بيروت.

99- الأنفال:9

100- الإسراء: من الآية82

101- الجامع الصحيح ، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في دعاء المريض، حديث رقم 1488. قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح

102- المصدر السابق، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ، حديث رقم 3402، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب

- مسند أبي يعلى/ أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، 145/8، تحقيق : حسين سليم أسد، قال: رجاله ثقات، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى ، 1404هـ - 1984م

103- المصدر نفسه، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث رقم3304، قال أبو عيسى: حديث غريب قال الشيخ الألباني: حسن

104- مسند الإمام أحمد بن حنبل/ أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني،293/1، حديث رقم 2669، تعليق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

105- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، 36/1، حديث رقم 1.

106- الفرقان: من الآية2

107- العجز: عدم القدرة على الطاعات، والكيس: النشاط والجد في الأمور. انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، 204/16، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، 1392

108- صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر،4/ 2045، حديث رقم 4799.

109 - المصدر السابق: ، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإحسان، 1/ 36، حديث رقم 8

- مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة/ عبد الله بن أسعد اليافعي 1/ 84، تحقيق : محمود محمد نصار، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ، 1992.

110- انظر: لسان العرب، ، مادة قضى، 3665/5.

- التعريفات/ علي بن محمد الجرجاني ص 226، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر / أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، 78/4. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـ- 1979م

111- انظر العقيدة الإسلامية وأسسها/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص 729-730، دار القلم، دمشق- بيروت، 1399هـ- 1979م.

112- انظر اللسان 3545/5، مادة قدر.

113- انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 729-730.

114 - انظر أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة/ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ص ، 332، تحقيق : باسم فيصل الجوابرة ص 332

115- التعريفات، 222.

116 - النهاية في غريب الحديث والأثر 125/4، وانظر: توضيح المقاصد 72/1.

117 - انظر: المصدر السابق 4/ 125.

118- انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 729-730.

119- القمر:49

120- الأحزاب: 38

121- الفرقان: 2

122- الأعراف: من الآية37

123 - انظر: جامع البيان، 304/10

124 - مسند الإمام أحمد بن حنبل، 51/1.

125 - صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج موسى وآدم 2044/4، حديث رقم:2653.

126- المصدر السابق.

127 - الجامع الصحيح، كتاب القدر عن رسول الله، باب ما جاء في الرضا بالقضاء 458/4، حديث رقم 2156، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح غريب.

128 - مسند أحمد 307/1، حديث رقم 2804.

129- غافر:60

130- البقرة:186

131 - شرح العقيدة الطحاوية/ ص458

132 - دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات)/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،2/ 517، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، الطبعة الثانية، 1404هـ.

133- انظر:اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، 1 /358،359 تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، الطبعة الثانية ، 1369

134- يونس:12

135 - الجامع الصحيح، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ،5/ 456، حديث رقم 3295، قال أبو عيسى: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قال الشيخ الألباني :حسن

136- انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص 459.

137- الزخرف:4

138 - الأعراف:34

139- النحل: من الآية61

140- آل عمران: من الآية145

141- صحيح مسلم،كتاب القدر، باب بيان أنَّ الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص، 2050/4، حديث رقم 2663.

142 - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل/ الإمام العالم ابن قيِّم الجوزيَّة، ص: 19،دار المعرفة، بيروت- لبنان.

143 - صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفيَّة خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله... 2037/4، حديث رقم 2644

144 - شرح العقيدة الطحاوية، ص 142

145 - صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق 2 / 728، حديث رقم 1925، 2557، ومعاني الكلمات: يبسط: يوسع، ينسأ: يؤخر، أثره: بقية عمره، فليصل رحمه: فليبر بأقاربه.

146 - انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، 16/ 114 دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية ، 1392

147 - انظر: الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 11، 12، دار الفكر - 1424هـ - 2003م.
148 - فاطر: من الآية11
149 - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول/ حافظ بن أحمد حكمي، 2/ 705، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى ، 1410 هـ - 1990م
150- النساء: من الآية102
151 - انظر: إحياء علوم الدين 1 /329.
152-الجامع الصحيح ، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء: لا يرد القضاء إلا الدعاء، 4/ 447، حديث رقم 2139. قال أبو عيسى : حديث حسن غريب قال الشيخ الألباني: حسن.
153- شرح العقيدة الطحاوية، ص 142
154 - الإيمان والرد على أهل البدع / من أجوبة لابن حجر الهيثمي 1 / 86، مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، عبد الرحمن بن حسن محمد بن عبد الوهاب.
155- الرعد:39
156 - انظر: عمدة القاري، 91/ 22.
157 - الأنبياء:23
158 - انظر: فتح القدير 3 / 126
159- الرعد: من الآية11
160- غافر: من الآية60
161- البقرة: من الآية186
162- الرعد:39
163 - جامع البيان 7/ 398.
164- فتح القدير، 3/ 126.
165 - الإيمان والرد على أهل البدع 1 / 86.